مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث
Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD)
P- ISSN 2709-1635 E-ISSN 2958-7328

المجلد 4 / العـدد: 16 (2023)، Volume 4, Issue 16
ص 343 – 355

المصطلح الصّوتيّ التّراثيّ بين الاستعمال والإهمال

د. هوارية الحاج علي*

وحدة البحث واقع اللّسانيّات وتطوّر الدّراسات اللّغويّة في البلدان العربيّة، تلمسان (الجزائر)

The traditional phonetic term between use and neglect

Howaria Hajj Ali*
https://orcid.org/0009-0007-1720-7074
Research Unit- The status and development of linguistic studies in Arab countries- Tlemcen (Algeria), elhadjalihouaria79@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/9/11 تاريخ القبول: 2023 /10/09 تاريخ النشر: 2023 /12/01

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على واقع استعمال المصطلح الصّوتيّ بين القديم والحديث، منطلقة من الإشكالية الآتية: لماذا اندثرت بعض المصطلحات الصّوتيّة القديمة من استعمال المحدثين، وحلّت محلّها مصطلحات أخرى مترجمة أو مستحدثة؟ حيث تبيّن أنّ عددا لا بأس به من المصطلحات الصّوتيّة القديمة لم تفقد صلاحيتها في الدّرس الحديث، إذ هي شاملة ودقيقة تفي بالغرض المطلوب ولا زالت سارية المفعول. صراحة أنّ اللّغويّين القدماء اعتمدوا المشافهة والنّظر آنذاك، لكن هذا لا يمنع من أنّهم كانوا على صواب في أغلب الأحيان، وخير دليل على ذلك أنّهم أصّلوا لميلاد الدّرس الصّوتيّ وكان لهم فضل السّبق في ذلك.

وقد توصّلت إلى مجموعة من النّتائج أبرزها: المصطلحات هي الحجر الأساس لمختلف العلوم فلا تقوم بدونها، لذلك وجب ضبطها وتوحيدها. ضف إلى ذلك أنّ عددا هامّا من المصطلحات الصّوتيّة التّراثيّة لا زالت معتمدة إلى يومنا هذا وذلك لدقّتها وملائمتها لما أُطلقت عليه.

كلمات مفتاحية: مصطلح صوتيّ.، قديم.، حديث.، مشافهة.، درس صوتيّ.

Abstract:

This research paper aims at highlighting the reality of the phonetic term use between the old and the modern, based on the following question research: Why did some of the old phonetic terms disappear and were replaced by other translated or updated terms?

It turns out that an important number of old phonetic terms have not lost their validity in the modern lesson, as they are comprehensive and accurate enough for the required purpose and are still used. Frankly, the ancient linguists used the orality and the sight at that time, but this doesn't prevent that they were right most of the time, and the best proof is that they prayed for the birth of the phonetic lesson and they pioneered it.

I came up with a set of results, the most prominent are: Terms are the corner stone of different sciences, so they have to be tuned and standardized. Furthermore, a

significant number of old phonetic terms are still adopted to this day because they are accurate and so suitable.
Keywords: Phonetic term, old, modern, orality, phonetic lesson.

مقدمة:

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على واقع استعمال المصطلحات الصّوتيّة القديمة في استعمالات اللّغويّين والصّوتيّين العرب المحدثين. فالدّرس الصّوتيّ كما هو معلوم قديم العهد ارتبط ظهوره تحديدا بظهور معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ في القرن الثّاني للهجرة، وذلك حينما رتّب موادّ معجمه على حروف العربيّة ووسمه "العين" بحسب مخارج الأصوات.

ومن ثَمَّ بدأت الإرهاصات الأولى لذلك العلم، وظهر المصطلح الصّوتيّ في مؤلفات العرب القدامى خاصّة عند علماء التّجويد والقراءات القرآنيّة وكذا النّحاة المتقدّمين، فكما هو معلوم أنّ الدّرس الصّوتيّ لم ينشأ مستّقلا في بدايته كباقي علوم اللّغة الأخرى (النّحو والصّرف، والبلاغة) بل كانت المباحث الصّوتيّة في ذلك الوقت مبوثثة في ثنايا مؤلفات القرّاء والنّحاة واللّغويّين، وقد وُفّق القدامى في كثير من المصطلحات الّتي دام استعمالها حتّى يومنا هذا، واندثر بعضها الآخر لعدّة أسباب.

والغرض من هذه الدّراسة عرض مجموعة من المصطلحات الصّوتيّة القديمة والتّعليق على مدى استعمالها وحضورها في الدّرس الصّوتيّ الحديث، فمنها ما اندثر كليّا ومنها ما بقي مستعملا عند بعض الدّارسين، ومنها ما يرد مقترنا بمصطلح آخر معرّب أو مترجم أو مستحدث.

وتكمن أهمّية هذه الدّراسة في الوصول إلى الأسباب الكامنة وراء إغفال وإهمال الكثير من المصطلحات القديمة، رغم أنّ الكثير منها يواكب متطلّبات الدّرس الّسانيّ الحديث.

وقد انطلقت في بحثي هذا من الإشكالية التّالية: لماذا أغفل المحدثون استعمال المصطلحات الصّوتيّة التّراثيّة وأهملوها؟

توطئة:

كان للعرب فضل السّبق في نشأة الدّرس الصّوتيّ بعد الهنود، وقد شهد لهم بذلك أقوام كثيرة، وهذا ما نوّه به المستشرق الألمانيّ برجشتراسر قائلا: "لم يسبق الغربيّين في هذا العلم، إلاّ قومان من أقوام الشّرق، وهما أهل الهند، ويعني البراهمة، والعرب".[1] لقد ظهر الدّرس الصّوتيّ في القرن الثّاني للهجرة، واقترن ظهوره بنشأة الدّراسات اللّغويّة، والّتي ارتبطت هي الأخرى بنزول القرآن الكريم وتدوينه، وتلاوته وحفظه من التّحريف والتّصحيف.

لذلك حظيت الأصوات العربيّة باهتمام ورعاية اللّغويّين القدامى كأبي الأسود الدّؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيديّ، وسيبويه، وابن جنّي وغيرهم كثير ممّن حذوا حذوهم. فجاءت مباحث الدّرس الصّوتيّ مبثوثة في ثنايا كتب اللّغة العربيّة. ومن دواعي ظهور الدّرس الصّوتيّ العربيّ -إضافة إلى ما سبق ذكره- تفشّي ظاهرة اللّحن على ألسنة العرب بعدما خالطوا غيرهم من الأعاجم، وهذا ما حفّز علماء العرب القدماء على التّصدّي لهذه الظّاهرة الخطيرة الّتي كانت ستفتك بالعربيّة الفصحى لا محالة، لأنّها ستؤدّي حتما إلى تصدّع بنيانها، وتفكّك أصولها، وضياع أصواتها.[2]

ولا ينكر إلاّ جاحد ما خلّفه السّلف من مصطلحات صوتيّة توارثتها الأجيال على مرّ السّنين؛ والّتي جاءت متناثرة في كتب النّحو الصّرف والبلاغة وبشكل لافت للنّظر في كتب القراءات القرآنيّة، ومردّ ذلك إلى الارتباط الوثيق بين علم القراءات وعلم الأصوات؛ وذلك من أجل توجيه القراءات القرآنيّة توجيها صوتيّا مرتبطا بمخارج الأصوات وصفاتها وما إلى ذلك، والغرض من ذلك كلّه حماية كتاب الله عزّ وجلّ من التّحريف.

وقبل التّطرّق إلى مناقشة المصطلحات الصّوتيّة القديمة المستعملة والمهملة كما ورد في عنوان هذه الورقة البحثيّة لابدّ من تعريف المصطلح.

1. تعريف المصطلح:

أ. لغة:

تدلّ كلمة "اصطلاح" على اتّفاق قوم على تسمية شيء ما باسم بعد نقله عن موضوعه الأوّل لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف غيرهما.[3]

ب. اصطلاحا:

يعرّفه عبد القادر الفاسي الفهري قائلا: "لغة خاصّة أو معجم قطاعيّ يُسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفيّ معيّن، ولذلك استغلق فهمه واستعماله على من ليس له دراية بالعلم الّذي هو أداة لإبلاغه".[4] فالمصطلح هو ذلك الرّمز اللّغويّ الّذي استخدم للدّلالة على مفهوم علميّ أو عمليّ أوفنّيّ؛ أي أنّه يستخدم في التخّصّص الّذي أُنشئ من أجله.

فالاصطلاح بالمعنى العامّ كما تقدّم ذكره هو إخراج اللّفظ من معنى لغويّ إلى معنى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتّفاق على وضع اللّفظ بإزاء المعنى، فالمصطلحات لا توضع ارتجالا، فلا بدّ من وجود مناسبة أو مشاركة بين المدلول اللّغويّ والمدلول الاصطلاحيّ.[5]

2. أهمّية المصطلح:

يُعدّ المصطلح (terme) الحجر الأساس في كلّ علم من العلوم، فبوساطته يتعامل المختّصون في كلّ قطاع؛ قال عبد السّلام المسدّي عن أهميّة المصطلح: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان ما به يتميّز كلّ واحد منها عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحيّة ...فإذا استبان خطر المصطلح العلميّ في كلّ علم، توضّح أنّ السّجّل الاصطلاحيّ هو الكشف المفهوميّ الّذي يقيم للعلم سوره الجامع، وحصنه المانع...فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحيّ لكلّ علم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى فسد فسدت صورته".[6]

وقد عقد علي القاسمي الصّلة بين المصطلح الدّقيق والمنهج العلميّ فقال: "إنّ المصطلح ضرورة لازمة للمنهج العلميّ إذ لا يستقيم منهج إلاّ إذا بُني على مصطلحات دقيقة، وقد ازدادت أهمّية المصطلح، وتعاظم دوره في المجتمع المعاصر، الّذي أصبح يوصف بأنّه: (مجتمع معلومات) أو (مجتمع المعرفة)".[7]

يتجلّى من القولين السّابقين أنّ دعامة العلوم مصطلحاتها، ولذلك يجب الحرص على ضبطها في أثناء صياغتها، حتّى يتسنّى للباحثين الولوج إلى مختلف العلوم، فالمصطلحات أضحت بمثابة المفاتيح في زمن التّكنولوجيا والرّقمنة.

3. المصطلحات الصوّتيّة:

1.3. المصطلحات الصّوتيّة المتعلّقة بالأصوات ومخارجها:

الحرف/الصّوت:

شاع استعمال مصطلح "الحرف" عند اللّغويّين القدماء وكانوا يريدون به الصّورة الخطّية للصّوت المسموع الصّادر عن جهاز النّطق، وذلك نحو ما شاع عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، وسيبويه (ت180هـ)، وابن جنّي (ت392هـ) وغيرهم ممّن عاصروهم.

غير أنّ اللّغويّين المحدثين استعملوا المصطلح الأدقّ وهو الصّوت، وهو في عرفهم ذلك الأثر الحسّيّ الّذي تدركه الأذن. يجب أن نشير هنا إلى أنّ القدماء قد جانبوا الصّواب حينما استعملوا مصطلح الحرف للدّلالة على المخطوط والمنطوق في الوقت نفسه.

المخرج:

استعمل القدماء مصطلح "المخرج" وهو عند جلّهم ذلك المكان المحدّد الّذي تخرج أو تصدر منه الأصوات اللّغويّة، وقد شاع استعمال هذا المصطلح عند الخليل بن أحمد الفراهيديّ، كما استعمل مصطلح "المبدأ" للدّلالة

على مصطلح المخرج ولكّن مصطلح "المبدأ" كان أكثر دقّة، لأنّه يحدّد الموضع بالضّبط الّذي يصدر منه الصّوت اللّغويّ، كما قسّم الخليل المخرج في حدّ ذاته إلى أحياز، والحيّز هو جزء من المخرج.[8]

وسار على نهجه تلميذه سيبويه في تبنّيه لمصطلح المخرج وعدد كبير من القدماء باستثناء ابن جنّي الّذي اعتمد مصطلح "المقطع"، وهو المكان الّذي ينحبس فيه الهواء إمّا انحباسا تامّا في الأصوات الشّديدة أو غير تامّ في الرّخوة...أي هو مكان خروج الصّوت أو المخرج.[9]

وعرّف ابن سينا (ت428ت) المخرج قائلا: "الطّريق الّذي يسلكه الهواء المحدث للصّوت من مبتدأ طريقه إلى الرّئتين مرورا بالحنجرة والحلق والفم، وانتهاء بالشّفتين أو الأنف".[10] وكما هو معلوم فلكلّ صوت مخرج معين أو قد تشترك عدّة أصوات في نفس المخرج وتسّمى باسمه؛ كالحلقيّة، والشّفويّة، والأسنانيّة...وذلك نحو ما أورده سيبويه في كتابه قائلا: "ولحروف العربيّة ستّة عشر مُخْرجا. فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مُخْرَجًا: الهمزة والهاء والألف...".[11] وقد بقي هذا المصطلح متداولا في الاستعمال الصّوتيّ الحديث. باستثناء حالات قليلة الّتي يرد فيها المصطلح المترجم عن اللّغة الفرنسيّة (point articulation) الّذي تُرجم إلى (موضع النّطق). وفي نظري أنّ المصطلح القديم (الْمَخْرَجُ) أفضل من المصطلح الغربيّ المرّكب، فمصطلح المخرج يعكس الدّلالة الحقيقيّة لأنّه يحدّد المنطقة المعيّنة تحديدا الّتي يخرج منها الصّوت.

وقد أرشد أحد الدّارسين إلى ضرورة الاطّلاع على الدّرس التّراثيّ في أثناء صياغة أو ترجمة المصطلحات الغربيّة الوافدة، فقال: "إنّ المصطلح الأصيل المستمدّ من التّراث، أو ذلك المسكوك بالوسائل المتاحة...يجب أن يكون الهدف الأسمى لوضع المصطلح العربيّ".[12]

المصطلحات الصّوتيّة المتعلّقة بصفات الأصوات:

المجهور/المهموس:

عُرفت صفة الجهر والهمس عند اللّغويين القدماء، فنجد سيبويه مثلا يعرّف الأصوات المجهورة والمهوسة قائلا: "تلك الأصوات الّتي أُشبع الاعتماد في موضعها، ومنع النّفَس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصّوت. والأصوات المهموسة أصوات أُضعف الاعتماد في موضعها حتّى جرى النّفس معها".[13]

أمّا ابن جنّي فيعرّف الصّوت المجهور والمهموس قائلا: "حرف أشبع الاعتماد من موضعه، ومنع النّفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصّوت...وأمّا المهموس فحرف أضعف الاعتماد من موضعه حتّى جرى معه النّفس، وأنت تعتبر ذلك بأنّه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصّوت نحو سسس ككك ههه، ولو تكلّفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك".[14]

وبقي هذان المصطلحان مشتركان في الاستعمال بين اللّغويّين القدامى والمحدثين، مع تسجيل بعض الاختلاف في الدّرس الصّوتيّ الحديث بحكم تطور الدّراسات الحديثة واعتمادها على الأجهزة المخبريّة المتطوّرة؛ فالصّوت المجهور هو الّذي يهتّز معه الوتران الصّوتيان عند النّطق به، والصّوت المهموس هو الّذي لا يحرّك الوترين الصّوتيين في أثناء خروجه. وقد أغفل الدّارسون العرب القدماء دور الوترين الصّوتيّن وأثرهما في توجيه صفة الأصوات (الجهر والهمس)، ولذلك لم نعثر على مصطلح "الوترين الصّوتيّين" في التّراث الصّوتيّ العربيّ، وهذا ما سبّب غموضا في تصنيفاتهم للأصوات المجهورة والمهموسة، ورغم ذلك كان الفرق طفيفا في تلك التّصنيفات مقارنة مع الدّرس الصّوتيّ الحديث.

الأصوات الرّخوة:

استعمل القدامى مصطلح "الرّخوة"، وهي تلك الأصوات الّتي لا ينحبس الهواء انحباسا محكما عند النّطق بها، وإنّما تكتفي بأن يكون مجراها عند المخرج ضيّقا ويترتّب على ضيق المجرى أنّ النّفس في أثناء مروره بمخرج الأصوات يحدث نوعا من الصّفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى.[15] فكلّ صوت يصدر بهذه الطّريقة سمّاه القدماء صوتا رخوا.

وقد عدّ سيبويه ثلاثة عشر صوتا رخوا هي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشّين، والصّاد، والضّاد، والزّاي، والسّين، والظّاء، والثّاء، والذّال، والفاء)، وعرّفها قائلا: "أَجْرَيْتَ فيه الصّوت إن شئت".[16] وقد عقّب المستشرق (شادِه) على تصنيف سيبويه حينما عدّ صوت الضّاد (ض) من الأصوات الرّخوة فقال: "عدّ من الرّخوة حرفا خرج منها بعده، في كثير من اللّهجات العربيّة، وهو الضّاد؛ فإنّها ليست الآن من الرّخاوة".[17]

وأضاف المستشرق الألماني (برجتراسر) موضّحا ما تقدّم ذكره فقال: "أمّا الضّاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن، وهي رخوة (عند القدماء) كما هي الآن عند أكثر البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدويّ الحاضر نفس لفظها العتيق".[18]

وقد بقي هذا المصطلح مستعملا عند المحدثين إلى جنب مصطلح آخر، وعادة ما يرد المصطلحان مقترنان مع بعضهما في عدّة مرّات في الوقت نفسه، وأقصد بذلك مصطلح "الاحتكاكيّة" fricative، وهو المصطلح المعاصر الشّائع والمتداول.

وأوّد أن أشير في هذا المقام إلى أنّه وقع اختلاف بسيط بين القدماء والمحدثين في عدد الأصوات الرّخوة (الاحتكاكيّة)؛ فهي في عُرف المحدثين أربعة عشر صوتا هي: الظّاء، والذّال، والزّاي، والعين، والصّاد، والخاء،

والفاء، والثّاء، والسّين، والشّين، والحاء، والهاء. في حين أحصى سيبويه ثلاثة عشر صوتا، حيث عدّ الضّاد رخوا كما أسلفنا الذّكر.

الأصوات المتوسّطة:

جرى المحدثون على استعمال مصطلح "المتوسّطة" للدّلالة على مجموعة من الأصوات هي: اللاّم، والرّاء، والميم، والنّون، والواو، والياء. وهي تلك الأصوات الّتي ليست انفجاريّة ولا احتكاكيّة.

في حين استعمل سيبويه مصطلحا آخر هو: "بين الشّديدة والرّخوة"، وفي رأيي أنّ مصطلح "المتوسّطة" أنسب وأدلّ، لأنّه يعبّر ويحاكي صفة تلك الأصوات المذكورة، فهي ليست شديدة، وليست رخوة، بل تتوسّط صفتيْ الرّخاوة والشّدّة، بالإضافة إلى أنّه مختصر يسهل استعماله.

ولم يعتمد اللّغويّون المحدثون مصطلح الأصوات المتوسّطة، بل اعتمدوا مصطلح الأصوات المائعة (liquids) معتمدين في ذلك على التّجارب الصّوتيّة الحديثة.

الأصوات الشّديدة:

إنّ ما سمّاه القدامى صوتا شديدا، سمّاه بعض المحدثين صوتا انفجاريّا، والصّوت الانفجاريّ هو ذلك الصّوت الّذي يتكوّن بخروج الهواء من الرّئتين في أثناء النّطق به. ويسمّيها بعض المحدثين التّوقّفات، إلاّ أنّ هذا المصطلح قليل الشّيوع، وارتبطت هذه التّسمية بذلك التّوقّف الّذي يسبق الانفجار والانحباس.[19]

الأصوات الشّجريّة:

انفرد الخليل بن أحمد الفراهيديّ باستعمال هذه المصطلحات الصّوتيّة، فالشّجرية مثلا يقصد بها الأصوات الّتي تبدأ من شجر الفم، وهي: الشّين، والجيم، والضّاد، والياء. و**الأسليّة**: هي كذلك من مصطلحات الخليل، وتكون من أسلة اللّسان وهي: الصّاد والسين والزاي. وهي في عرف المحدثين حروف الصّفير. و**النّطعيّة** يكون مبدؤها نطع الغار الأعلى وهي الطّاء، والدال، والتّاء. بالإضافة إلى **اللّثويّة** الّتي تكون من اللّثة وهي الظّاء، والثّاء، والذّال، وما اصطلح عليه الخليل ومن عاصروه "اللّثة" سمّاه المحدثون أصول الثّنايا. و**الذّلقيّة** تكون من ذلق اللّسان، وهي: الرّاء، واللاّم، والنّون.

و**اللّهويّة:** وهي: الجيم، والقاف، والكاف. وحدّد الخليل موضعها فقال: "أمّا مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللّسان، وبين اللهاة من أقصى الفم". واللّهاة هي عضو من أعضاء النّطق متّصلة بالحنك الرّخو فهي جزء منه، تقتصر وظيفتها على غلق الفراغ الأنفيّ وفتحه ليسمح بمرور الهواء.

ونجد الدّارسين المحدثين يخلطون خلطا كبيرا بين اللّهاة وفتحة المزمار، فهما عندهم شيء واحد، فيقولون: اللّهاة لسان المزمار ويقابلونهما بالمصطلح المترجم (epiglottis). والحقيقة أنّ لسان المزمار عضو متّصل باللّسان من الدّاخل يتحكّم في فتحة التّنفّس.

الأصوات الشّفويّة (الشّفهيّة) وتكون من الشّفة، وهي: الفاء، والباء، والميم، والواو. وقد بقي هذا المصطلح مشتركا بين اللّغويّين القدامى والمحدثين.

تعتبر هذه المصطلحات من المصطلحات الصّوتيّة الّتي استعملها الخليل بن أحمد في معجمه العين، وهذا ما أكّده مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) حين نسب هذه المصطلحات إليه فقال: "وبقيت عشرة ألقاب تمام أربعة وأربعين لقبا، لقّبها بذلك الخليل بن أحمد في أوّل كتاب العين، جعل ألقابها عشرة مشتّقة من أسماء المواضع الّتي تخرج منها الحروف".[20] وهذا ما ذهب إليه أحمد محمّد قدّور فقد أشار إلى أنّ مصطلحي "الذّلاقة" و"الإصمات" هما للخليل بن أحمد ويعارضه الدّكتور إبراهيم أنيس وينسبهما لابن جنّي.[21] ولسنا في هذا المقام بنسبتها لأحد منهما، وما يهمّنا أنّ هذين المصطلحين من المصطلحات القديمة الّتي يزخر بها التّراث الصّوتيّ العربيّ.

الصّوت المهتوت:

خصّ اللّغويّون القدماء صوت الهمزة بهذا الوصف، وقد ورد هذا المصطلح في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ حين قال: "وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّهَ عنها لانَتْ".[22] ويفسّر أحمد محمد قدّور معنى الهتّ بقوله: "وربّما كان المقصود بالهتّ والضّغط ما يستشعره النّاطق بالهمزة من عصر وشدّة وانحباس نتيجة انطباق لسان المزمار انطباقا تامّا ثمّ انفراجه سريعا".[23] وتجدر الإشارة إلى أنّ القدماء كانوا يخلطون بين الهمزة والألف، ولذلك لم يتمكّنوا من تحديد مخرجها بدقّة.

وقد اندثر هذا المصطلح في الاستعمال الحديث، فالمحدثون يستعملون مصطلح الشّديدة والانفجاريّة.

كما نجد أنّ القدماء اقترن لديهم مصطلح الهمز بمصطلح النّبر؛ فإذا أمعنا النّظر في التّراث اللّغويّ لاحظا خلطا واضحا بين مصطلحيْ "النّبر" و"الهمز"؛ وهذا ما لاحظناه في جلّ استعمالاتهم، وذلك نحو ما ذكره أبو زيد

الأنصاريّ (ت215هـ): "أهل الحجاز وهذيل وأهل مكّة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلاّ بالنّبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطّروا نبروا".[24]

وقد اقترن مصطلح النّبر بمصطلح الهمز عند ابن السّكّيت (ت244هـ)، ويتجلّى ذلك من خلال قوله: "النّبر مصدر نبرت الحرف نبرا، إذا همزته".[25] وهذا ما ذهب إليه ابن منظور (ت711هـ) أيضا، فقال: "النّبر بالكلام يعني الهمز، والنّبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزة، والمنبور المهموز، ويقال: نبر الرّجل نبرة إذا تكلّم كلمة فيها علوّ، وكلّ شيء رفع شيئا نبره".[26] وهنا يبدو الخلط واضحا، فلا يكاد صاحب لسان العرب التّفريق بين المصطلحين، فهما عنده متطابقين.

وقال ابن المؤدّب (ت414هـ): "ويسمّى نبرا لنبرك إيّاه إلى حنكك الأعلى والنّبر هو الرّفع".[27] في قول ابن المؤدّب نلمس مقاربة للمعنى الحقيقيّ عند المحدثين، فهو يشير إلى الرّفع، وهذا من خصائص النّبر.

صحيح أنّ "النّبر" شيء جديد على الدّراسات اللّغويّة، وأنّ النّحاة العرب لم يخلّفوا لنا مصطلحا محدّدا لهذه الظّاهرة؛ فاقترن معناه لديهم بمعنى الهمز، فقد استخدمت كلمة "النبر" مرادفة لكلمة "الهمز" وسمي الهمز نبرا لعلوّه على سائر الكلام.

وممّا يثبت عكس ما قاله هؤلاء الباحثين الّذين نفوا معرفة العرب القدامى بمصطلح النّبر وجود نصوص ومقتطفات في ثنايا مؤلّفاتهم تشرح ماهية النّبر وانتقاله؛ ومن ذلك قول ابن السّكّيت: "النّبر مصدر نبرت الحرف نبرا، إذا همزته".[28] وكذلك قول ابن سينا (ت428هـ): "حفز قويّ من الحجاب وعضل الصّدر لهواء كثيرة".[29] فهذه إشارة من الشّيخ الرّئيس إلى ظاهرة الهمز الّتي تعني الضّغط، والنّبر، والارتكاز. وقد ارتبط المفهومين مع بعض للاشتراك الوارد بين المصطلحين؛ فالنّبر ينطق بارتكاز أكبر متطلّبا طاقة أعظم، فالعامل المشترك بين النّبر والهمز هو الضّغط والجهد العضلي الزّائد المبذول في العمليتين. فمعظم تعريفات "النّبر" تفيد بأنّه يتطلّب طاقة زائدة وجهدا عضليّا إضافيّا.

فالنّبر هو المكافئ الاصطلاحيّ للهمز عند العرب، ويُقصد به رفع الصّوت والضّغط على الكلام، وهذا التّصوّر لا يختلف على التّصوّر اللّسانيّ لمفهوم الهمز، وإن كان لا يفصل في وصفها وتقعيدها والتّمثيل لها وتقييدها بمقطع معيّن. فكلاهما يتطلّب نشاطا متّحدا من أعضاء النّطق: الرّئتان، وعضلات الصّدر، وأقصى الحنك، والشّفتان، واللّسان ممّا يؤدّي إلى تعاظم مساحة السّعة في الذّبذبات الصّوتيّة.[30]

الإطباق:

إنّ النّحاة العرب لم يفرّقوا بين الطّبقيّة والإطباق، بل أطلقوا عليهما معا اسم "الاستعلاء"، وأنّ كليهما ينتج بعض القيمة التّفخيمية، ولكنّ التّفخيم لا يتمّ إلا إذا انضمّ التّحليق إلى الأطباق أو الطبقية، والتّحليق هو سحب اللّسان إلى الخلف في نقطة معينة، وهو غير النطق الحلقيّ الّذي توصف به العين والحاء.[31]

لقد بيّن الدّارسون المحدثون أنّ اللّسان يأخذ شكلا مقعّرا في حالة الإطباق فيرتفع من طرفه ويتصعّد من أقصاه، وقد ألحّ المحدثون على ضرورة التّفريق بين الإطباق الّذي تقدّم ذكره وبين الطّبقيّة الّتي يُقصد بها .....وقد أحسن الدكتور تمام حسّان حين فرّق بين الإطباق والطبقية على النحو التالي، فقال" :وليحذر القارئ من الخلط بين اصطلاحين، يختلفان أكبر اختلاف، وإن اتحدا في كثير مما يخلق صلة بينهما، ذلك هما :الطبقية أو النطق في مخرج الطبق (Velar **Articulation**) والإطباق أو ما يسمى في علم الأصوات (Velarization) فالطبقية ارتفاع مؤخرة اللسان، حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى، أو يضيقه تضييقا، يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، أو يضيقه تضييقا، يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، فهي إذن حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد. أما الإطباق هوارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه".[32]

والأصوات المطبقة أو المفخمة في اللّغة العربيّة هي : الصّاد، والضّاد، والطّاء، والظّاء، وغيرها يعدّ مرقّقاً، أو غير مطبق.

والمصطلحات الصّوتيّة تبقى متباينة الاستعمال بين اللّغويين القدماء والمعاصرين.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث توصّلت إلى مجموعة من النّتائج أبرزها:

- كان للعرب فضل السّبق في التّأصيل لميلاد الدّرس الصّوتيّ ولذلك نجحوا في إنتاج مصطلحات لازالت سارية المفعول في عصرنا هذا، وهذا دليل قاطع على درايتهم بخبايا الدّرس الصّوتيّ وما يشتمل عليه من مصطلحات متعلّقة بأعضاء النّطق، ومخارج الأصوات، وصفات الأصوات وغيرها كثير رغم اعتمادهم المشافهة فقط في أبحاثهم آنذاك.
- المصطلحات مفاتيح العلوم لذلك وجب ضبطها والعناية بتوحيدها حتى تنعكس آثارها الطّيّبة على نتائج الأبحاث في مختلف العلوم.

- المصطلحات الصّوتيّة القديمة بعضها اندثر لقلّة استعمالها وشيوعها من طرف الدّارسين المحدثين وذلك لسببين: المصطلح القديم بعيد عن الواقع الحديث الّذي توصّلت إليه الدراسات المخبريّة بحكم أنّ القدماء اعتمدوا المشافهة فقط، وكذا انبهار المعاصرين بالمصطلحات الغربيّة وترجمتها أو استحداث مصطلحات جديدة حلّت محلّ المصطلحات القديمة بحكم كثرة الاستعمال.
- لم يعتمد المحدثون مصطلح الأصوات "المتوسّطة"، بل اعتمدوا مصطلح الأصوات المائعة (liquids) معتمدين في ذلك على التّجارب الصّوتيّة الحديثة، وهذا حال كثير من المصطلحات الّتي أُلغيت من استعمال المحدثين وحلّت محلّها مصطلحات حديثة.
- عرف العرب عملية التّشريح والاطّلاع على بعض خبايا جهاز النّطق في القرون المتقدّمة وهذا ما أهّلهم لصياغة مصطلحات صوتيّة تواكب العصر الحديث.
- وجود قطيعة بين التّراث والمعاصرة جعلت المحدثين يجهلون كثيرا من المصطلحات رغم دقّتها وشموليتها، ولذلك يجب ربط الحاضر بالماضي للاستفادة من المنجز القديم والنّظر والتّمعن فيه في أثناء صياغة أو ترجمة المصطلحات الغربيّة الوافدة.

قائمة المراجع:

(1)- الكتب :

1. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللّغويّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1975م.
2. أيّوب، عبد الرّحمن، جامعة الكويت، ط1، 1984م.
3. البابيي، أحمد، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة –دراسة لسانيّة في الصّوائة الإيقاعيّة–، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م.
4. برجشتراسر، التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م
5. بني بكر، عبد القادر مرعي، المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة القدماء في ضوء علم اللّغة المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016م.
6. الجرجاني، الشّريف، التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت، 1978م.
7. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، سرّ صناعة الإعراب، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 2000م، ج1.
8. حسّان، تمّام، مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، د. ط، د. ت.
9. الخليل، بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الرّشيد، العراق، د. ط، د. ت.
10. رمضان، عبد التّواب، المدخل إلى علم اللّغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.
11. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، رسالة أسباب حدوث الحروف، مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، سورية، د. ط، 1983م.
12. ابن السّكّيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان، ط1، 2002م.
13. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، د. ط، د. ت، ج5.

14. الفاسي الفهري، عبد القادر، اللّسانيات واللّغة العربيّة نماذج تركيبيّة ودلاليّة، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط3، 1993م.
15. قدّور، أحمد محمّد، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدّمة كتاب العين، دار الفكر، سورية، ط2، 1998م.
16. القوزي، عوض حمد، المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره، جامعة الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1981م.
17. مكّي بن أبي طالب، القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، دار عمّان، الأردن، ط3، 1996م.
18. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، د. ط، د. ت، ج5.

(1)-**الرسائل والأطروحات الجامعية**

1. بوروبة، المهدي، (2022/2021)، ظواهر التّشكيل الصّوتيّ عند النّحاة واللّغويّين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجريّ، رسالة دكتوراه غير منشورة، أدب عربيّ، كليّة الآداب واللّغات، جامعة تلمسان (الجزائر).

(1)-**المقالات** :

1. السراقبي، وليد محمّد، "فوضى المصطلح اللّسانيّ"، مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، سورية، المجلّد83، العدد2، 2008م.
2. مولاي طالبي، عبد الحفيظ، "المصطلح الصّوتيّ عند ابن سينا"، مجلّة دراسات أدبيّة، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التّعليميّة، العدد2، 2009م، ص89.

* د. هوارية الحاج علي.
* **Howaria Hajj Ali**

الهوامش:

1. برجشتراسر، (1994)، التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص11.
2. ينظر: بوروبة، المهدي، (2022/2021)، ظواهر التّشكيل الصّوتيّ عند النّحاة واللّغويّين العرب حتّى نهاية القرن الثّالث الهجريّ، رسالة دكتوراه غير منشورة، أدب عربيّ، كليّة الآداب واللّغات، جامعة تلمسان (الجزائر)، ص6.
3. ينظر: الجرجاني، الشّريف، (1978)، التّعريفات، د. ط، مكتبة لبنان، بيروت، ص28.
4. الفاسي الفهري، عبد القادر، (1993)، اللّسانيات واللّغة العربيّة نماذج تركيبيّة ودلاليّة، ط3، دار توبقال للنّشر، المغرب، ص228.
5. نظر: القوزي، عوض حمد، (1981)، المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره، ط1، جامعة الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص23.
6. المرجع نفسه .
7. المرجع نفسه .
8. ينظر: الصّيّغ، عبد العزيز، (1998)، المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة، ط1، دار الفكر، دمشق، ص52 .
9. ينظر: المرجع نفسه، ص 52 .

10. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، (1983)، رسالة أسباب حدوث الحروف، مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، سورية، ص25. ومولاي طالبي، عبد الحفيظ، (2009)، "المصطلح الصّوتيّ عند ابن سينا"، مجلّة دراسات أدبيّة، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التّعليميّة، العدد2، 2009، ص89.
11. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (1982)، الكتاب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرّفاعي، الرّياض، ج4، ص433.
12. السراقبي، وليد محمّد، (2008)، "فوضى المصطلح اللّسانيّ"، مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، سورية، المجلّد83، العدد2، ص392.
13. المصدر السّابق، ج4، ص434.
14. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، (2000)، سرّ صناعة الإعراب، ط1، دار الكتب العلميّة، لبنان، ج1، ص69.
15. ينظر: أنيس، إبراهيم، (1975)، الأصوات اللّغويّة، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص24.
16. الكتاب، ج4، ص435.
17. رمضان، عبد التّواب، (1997)، المدخل إلى علم اللّغة، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص64.
18. المرجع نفسه، ص65.
19. ينظر: أيّوب، عبد الرّحمن، (1984)، الكلام إنتاجه وتحليله، ط1، جامعة الكويت، ص250.
20. الرّعاية، ص113.
21. قدّور، أحمد محمّد، (1998)، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدّمة كتاب العين، ط2، دار الفكر، سورية، ص33.
22. العين، ص52.
23. المرجع السّابق.
24. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللّغويّة، ص78-79.
25. ابن السّكّيت، (2002)، إصلاح المنطق، ط1، دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان، ص 66.
26. ابن منظور، (د. ت)، لسان العرب، د. ط، دار صادر، بيروت، ج5، ص168.
27. بني بكر، عبد القادر مرعي، (2016م)، المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة القدماء في ضوء علم اللّغة المعاصر، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص236.
28. ابن السّكّيت، إصلاح المنطق، ص66 .
29. ابن سينا، د. ت، ص7229
30. البابيي، أحمد، (2012)، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة –دراسة لسانيّة في الصّواتة الإيقاعيّة-، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص51-52.
31. ينظر: حسّان، تمّام، (د. ت)، مناهج البحث في اللّغة، د. ط، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، ص95-69.
32. المرجع نفسه، ص89.